محمد حبيبي

انكسرتُ وحيداً

دار الجديد

مُحَمَّد حبيبي

انكسرتُ وحيـدا

إلى فاطمة .. و وسام

هدنة صغيرة

" لم يبق في القرية طائرٌ نغني له ، فلنخلق طائراً من خيالاتنا "

عبده خال

وحيـــدًا..

ناعماً ينبتُ العشب

مثل أول رشفةْ
- من قهوةِ الصبحِ -
أنتِ

أهجسُ
أن أحتويك كثيرا
وحين اضمُّكِ صوب ضلوعي
أهشِّـمُ أنفاسَ حبكِ بين أصابعِ
خوفي

كلما حرثتْهُ شفاهُكِ صدري
ناعماً
ينبتُ العشبُ بعد رذاذك

شقراء قصيَّة كروحي

(١)

تجيئين
يتبعكِ الموج في السرِّ وقت الرَّحيل
كما
النَّقش في خاتمٍ
عتَّقته الأصابع حتى
انمحى

(٢)

أسألُ
من سرق العمر حين
دلفنا لبوَّابتيه ؟
من فلَّ جدرانه الأربعه ؟
أي الرِّجـالِ
سيخلعُ نعلاً قديماً
وساعته المهمله ؟

(٣)

في زمـانٍ تزيَّـف بالأصـدقاء

تحدثني

عن سراب المغنينْ..

عن وجههـــا

عندمـا يستحيــل إلى

سحْنةٍ في وجـــوهِ

المعزِّيـــنْ..

(٤)

حيـن غنيتُ وحـدي تعبتُ

فكلُّ العصـافير قد غادرتني

وجاءت لتفضحـني فاطمـة

أخجلُ ...

تخجلُ ...

يحتقن الوقتُ

في وجنتيها

تفرّخُ في خصلتيها البيوت

احتفـال بياضٍ على جبهتيها

تراتيـل حـمَّى على نسغها

وحمحمـة الغيرة المزمنـهْ..

(٥)

هــي البــحرُ
أول مايشتهيه المسافر
من أغنيات السفرْ
أول نرجيلةٍ قبَّلتها
شفاهُ غريبْ

(٦)

تهمـسُ
أن الظـــــلام
يلفُّ الطريـق
ولا شيء يخدش دجو المدينـةْ..
سوى
نظرات الغريب الحزينةْ..

(٧)

تعـوديـن كالحلم
من لحظةٍ شـاردةْ..
أفتِّش عنك الجيوبَ
أبعثرُ
كلَّ الحقائبِ
كلَّ الخرائـطِ
فيفجؤني سمْتُـكِ القرويُّ
تخبئـهُ
شـــارةُ البوصلةْ

بكائيات

هي الآن تبكي
وتحسب أن دموع البنيَّات
يأسرن لبِّي
سوف تبكين وقتاً طويـــلا
وحين يطهركِ الدمـع
ترقيْن أول قلبي..

بكتْ
فبكيتُ على إثرهـا
وحين أفقنـا
تساءلتُ فيم البكاءْ؟
أ لأنَّـا ضحكنا كثيراً ؟

فاصلة

إلى /عمر بوقاسم

كلما عدتُ للقرية النائيةْ..
فرَّ مني القمرْ..
كلما لذتُ نحو الحميمين من أصدقاء الطفولةِ
يبكي علينا الشجرْ
كلما أُبتُ من سفرٍ يحتويني سفرْ

قصائد المخاض

فتى

في الطريق إلى الفيصليةْ*
فنارٌ لأحلامنا
ومأوى قطيعٍ من النوقِ
قرب السَّلام تساقط تبراً
نشكِّله مرمراً ورخاماً يزيد بهاء البيوتْ
وئيداً أخبُّ إلى صفِّنا
بخارطتي* دفترالواجب المنزليّ وكسرة عيشٍ
مع الزمزميةْ
ولأني فتىً طيبٌ شاكس الأشقياء خطايَ
لأمنحهم كسرتي ثم أندسُّ في دفء فانوس أمي
تطرِّز بي صوتها :
(يانوم إيجَـهْ من أَمْ حَرِيجَـهْ
في عيون ولْدي أغده وإيجـهْ
يا لله طلبتـكْ منك الهدايـهْ
طـه ويـس وكلَّ آيــهْ)
تحسُّ بأني فتاها الذي يرقب الصحو
يفضح زيف المدينة

تينة

كان في بيت جدي تينةْ
أقبِّل أغصانهـا مرةً
وأجرِّحهـا خفيـةً
ليسيل الحليب البهيُّ
عـلى جذعـهـا
فأبكي على التينِ
أبكي على بيت جـدي
على الطفــل
في داخلي
ي
خ
ت
ف
ي

الرَّيْـن

للحقول براءتها أينما وزَّعتها
على الدَّوم
أوشجر الرين
آه يا شجر الرينْ
كنا صغـيرينْ
أعلِّمهـا
صنعَ فقَّاعةٍ من ورقْ
رسم قلبٍ به عاشقينْ
أول حرفٍ من اسمي
ومن زهرة الرين عقداً يضيء ضفيرتها
أهِ يا شجر الرين
ها نحن عدنا غريبين
وها أنت مغتربٌ
مثلنـا.

حَمَام

في باحة الدار
كنتُ أربِّي الحمامْ
ذات قيظٍ
تطاير حتى تجاوز صندوق جاري
فأدركت أن الحمام يحب الهواء نقياً
وأني اختنقت بجو القفص

علوان

فتىً أخضرٌ لا يملُّ الحياة
ويمنحها مقلتيه كفردوسةٍ شـاردةْ
يستلُّ مزودة الماء/نايـاً عتيقاً وإبريقه المتفـحِّمْ..
تلبَّسَ سمت الرعاة إذا غبَّشوا بالمواويلِ
والدندنات الحزينةْ..
يهيم بفاتنةٍ شبَّ من خصرها العنفوانُ
إذا دغدغ النايَ إصبعُه رقصت غنم الحيِّ منه
فتبكي الفتاة كثيرا
وحين يهلُّ الغروبُ يخاتلها
دسَّ في حزمةٍ من قصـبْ..
شيحاً وزعترْ؛
ثم طَّوقها بالسّـكـبْ.

---

* مدرسة
* حقيبة من القماش

الأصدقاء

أجرحُ هذي المدينةْ
وأعلـمُ
أني أشكِّل من ذكرياتي بها فيلقا
هـل
سأنسى التي أسكنــتْ في دمـايَ
نـسيـــب الـقـرى؟

منذ أن شقَّقتْكَ الوجوه البعيدة جدًّا

وأنت

تدلِّـي نهارك

تشنقه في جدار القصيدة

أ تذْكُرُ يا والدي
حـين حذَّرتني
من نسـاء المدينة ؟
وقلتَ :
المدينة ليست لأمثالنـا...
آهِ
ها إنهم أصدقائي
الشَّـوارع والأرصفة!!

أطـلال

علَّق الأصدقاء وجـوهاً كثيرةْ
وراحوا يغذَّون صوب القـرى
وقفتُ هنا العمر علِّي أضاجع صمت الأثرْ..
لا البكاء براني
ولا الوجـــد أذكـــى عفاء المـمـرْ

مثلما نخلةٍ
ـ لا عروق بها
ولا مـاء من حولها
شاخ في وجنتيها الـثمرْ ـ
تضاحك مني الشجرْ

وحــدي

أغنِّي البيوت الفقيرةْ

وأبكي وجوهاً كثيرةْ

فمَنْ لي بوجهٍ

كأُمِّـــي ؟

قلتُ للعمْرِ:

قِفْ

لا تمرَّ سريعاً فتفضح سرِّي

وقَفَ العُمْر

لكنني

كنتُ شـخـتُ كثيـرا

مرةً قالها :

أما حان أن تجمع الكلمات الكسولةْ

كأوراقِ عمْركْ ؟

ـ قلتُ :

كيف رؤى ؟

هل تحبُّ الذي لا ترى منه غير الصورْ ؟

إيـهِ يـا ولدي ؛

رؤى أصبحت أثلةً فارعةْ

دون أن تنتظرْكَ

فأغفيتُ محتضناً حسـرتي!!

مرثية العصافير

كيف أسرجُ هذا الحنين وأيُّ جوادٍ تكون سنابكه من نجـوم ؟ كيف أُخـــرِجُ من أضلعي غابة الياسمينِ، وبيتاً من الشعر قوَّس أطرافـــه فتشقَّق مثل جريـد الصبا؟ قامةُ الخيزران التي أسندت هامتي تسحيل إلى وتَرٍ يستطيل إلى حتفهِ، والبروجُ التي كنتُ أشنقها في سقوف الحكايات تعكف ألسنة الغيظ صـوب تجاعيد وجهي، المكاتيبُ شاختْ حروف المسرَّات فيهـا، تماهت على بركةٍ من دموع..

(عاد من عادَ) خان الذي خانَ، أبقى كهذي الجبال التي ترقـب الناس من حولها وهي جامدةٌ لا تحنّ ؛ الأخلاء يمضونَ والأصدقـاء يخونـــون لاذوا بأغصان خضراء، ما انتظروا أن بوح، فأيُّ الجراح سأفتحُ؟

. أمي التي ودعتني نقيَّاً وخنتُ وصيتها لأعاقر هذا السحاب فأقعي وحيـداً بمنفايَ أجترُّ أطياف شيخوختي ؛ هل تصدِّقُ أن الصـبي الذي مسَّدت رأسه ذات ليل يخيط النهار بأصداغه أحرف العنكبوتْ؛

أو تصدق أنيَ أُجهدُ نفسي كثيرا لأذكر أوصاف من قاسموني الأسرَّةْ من إخوتي قلتُ : أيُّ الجراح سأفتحُ / أيُّ المراثي تليق لأُعلن موتاً بطيئا بسكينَ مثلومـةٍ منذ عشر سنينْ،

لا الخبوت التي علمتني الغواية تطفئُ من وحشتي ،لا الصغـار الذين ألاعبهم يذكرون، ولا أثلة الدار أغصانها تتذكر كم ظللتني بُعَيْدَ الشقـاوات من فرك أذني؛ الريـــاحين في بيتنـــا كنتُ أعشقها حين تهوي عليها العصـــافيْر،

هل ستبكي عليَّ الرياحين أو سوف تنكر شكلي العصافيُر، كانت تضجُّ؛ لأني أشاكسها ثم هاهي تبكي فلا إخوتي شاكسوهـــا ولا زرعــوا تحت أعشاشها واحة الياسمين. لأبقى كأيلٍ

يجيـــدُ الفـــــرار لأشـــراك قاتله؛ (كلما أبتُ من سفرٍ يحتويني سفْر)

فتـاة

تركض هذي الفتاةْ
تلعب بالرملِ
تصنع بيتاً من الطِّينِ
تنثرُ من حوله الأسئلةْ
*
تكبرُ تلك الفتاةْ
تختارُ ألوانها بعنايةْ
تتقن صبْغ الشَّعَرْ
تنسى فضول الصِّغارْ
*
يعشقها فارسٌ
ثم يشتاقها شاعرٌ
فيخضِّب راحتها بخطوط الوطنْ
سوف يعشقها غيرهُ _ خلسةً _
فيبكي عليها كثيراً
وينسى الوطنْ

قصائد المتعبين

(١)

صاغ لي من مساميره خنجراً
فاشتهتني يداه
رابضٌ في الزوايا
وصمت الطريق مداهْ
كلما هاج بالسرِّ من وهجٍ
سقطت دمعتاهْ

(٢)

كقطعان هائمة في الصحاري
تحوِّم أسرابهم في الشوارع
والشوارع بيضاء ٠٠ بيضاء
غير صدىً من تآكل أطرافهم
وهي
بيضاء ٠٠ بيضاء
تحت صليل المكانس

(٣)

شفةٌ ينبع البؤس من طرفيها
كتنهيدة الروح صاعدة للسماءْ
وقفةٌ شاحبةْ !!
رعشةٌ باليدينْ
غصَّةٌ
ذوَّبت منه ماء الجبينْ

(٤)

زفَّ عرْبته للريــاح
وأنشأ أعراسه للرصيف
الميادين خرساء بين يديهْ
حين يلكزه الأشقيــاء
يشيّعهم لعنه
بعصاً أشبهت ساقه فلَّ سرب الذباب
بشَّ نحو الطريق وذاب ٠٠ و ذ ا بْ

(٥)

يداه مملَّحةٌ بالطباشير
(مرزابه) مـــائلٌ
يدوِّن في دفتر الوقت
ما ذاب من عمره
تحت سبّورة الفصل
وفي حوصلات تلاميذه
الأشقيـاء

(٦)

يحمل أوراقه ويغني
لوجوهِ البنيَّات للرملْ
كنتُ أرمقه
كيف يفري القواميس عن لغةٍ هذليةْ
وحين يفيء إلى سمته
تخاتله اللغة الشاعريةْ

(٧)

فوق كومته يستطيل
أريكتـه من قصبْ
داعب الغيم مسرابه
فاستلذَّ التعـبْ
السنابل من زهوه وشوشت بعضها
فأضحت مواسمه ذهباً أبيضاً وسكبْ

(٨)

فوق تنُّوره استلَّ سيفاً صقيـلا
ليرسم في الأفق جمجمةً وهياكل
ثم أومأ للنـار أن
تستكين سلاماً وخبزا ٠

انكـسـرتُ ..

رَيْحــانة

غرستها أمي في صحن الدار
لعروسي نذرتها
في أول أيام العرس
تورقُ
خمسين بلاطة !

نصوص رديئة

حُب

ليس لي
غير أن أتعاطاكِ تبغاً رديئاً
بقلبي الذي صار منفضةً للسجائر

حياة

بحياةٍ تسرقهم حلموا
... وكأوراق خريف يصحونَ
قد التصقوا بالأغصان
دلَّوا أيديهم والأعناقَ
لأول ريـــح

طلْقة

قبل الطلقةْ

ينسى الرجل

ـ في زيِّ الصيادِ ـ

زغب العصفورة في العش

وهْم

نحن الموهومين...
راوحنا في مدنٍ لم تشبهنا
مسروقٌ نصف ملامحنا
والنصف الآخر غيَّبه الترحال

خيوط لعزلته

نزِقٌ من أخطاء الناسخْ
وقصائدهُ
تُكمِلُ فجوةَ رفٍّ ما !

يفرك فروة آخر حلمٍ له
ملتذّاً بالعزلة
فيما تلك المرأة
متواطئةٌ مع مشجب خيباته

كاللصَّ الحاذقِ
للشقة في الدور العلوي
يصعدُ
حيث الأحلام الوردية
كزهور المرضى
متحنطةً بممرات الرغبة

في البنك يروه أنيقا
طول الياقة مع ربكتها
تنبيءُ عن . .
يتوسط صفَّ الشحاذين !

تجـريــد

للحقيقةِ
لون الزجاج
للزجاج مذاق التراب
هل يكون التراب زجاجا ؟

الأزرق لون البحر
والأخضر لون الأشياء
لو أن الأخضر لون البحر
والأزرق لون الأشياء

كنعناعٍ
تهدَّلُ

من

بخار

الوقت

روحي

حين يأتي المطرْ

شرفتي ترتبكْ

حين توحش روحي

أكون فقأتُ القرى

مواجهة

هذا الصباح
أراوغ كل الذين يراؤون وجهي
فأرسم بسمة صفراء
وعينين تزهو الرموش حواليهما
وفي غفلةٍ سألونهما أحمرا
ثم أرقبهم
يُحرقـــون

أيضاً
سأعلِّق قلبي من رجليهِ
وأصفعهُ
حتى يلفظَ آخرهم

من عامي الأولِ
أحملها تثقل كتفي
كرةً لا تحبل إلا بالوهمْ
لو كالسَّيَّاف تجاسرتُ
أدحرجها لأعود
طليقاً

اعتراف

حين اقتادوه ليخلع بعض أصابعه

اعترفوا

لن يؤذوه

...

تخرجُ

معصمه معطوبة

أَلْفَوْهُ طريح جذاذاته
بحثوا في آخر أوراقه
وجدوا :
(بلدٌ كامرأةٍ حبلى بآلاف الدمامل)
أطْفَوا في جثته أعقاب سجائرهم
ومضوا

في محبرتهْ
ثمت كلماتٍ مختبئة :
(لو أني أمتلك الجرأةْ
لمخرتُ برجليَّ البحرَ
كي أسكنه عريي)

ارتيــاب

من قبل هسيس الشرفة جارتها
وسوستُ
بأن الريبة بينهما
ضدي

لشقوقٍ في كاحل رجلي الضخمة
يومياً
يتوسَّل سجاد العتبة
يتأفف من تهشيم ضلوعه

لو
أنّ الأدراجَ
تتقافزُ
هاربةً ..

بعد لأْيٍ
شنقتُ الستائر قرب بكاء الجدارْ
بعدما نضجت حفلة الشنقْ
تحكُّ الستائرجلد الجدارْ
حول حلقي أحس انغماس أظافر

قبـول

كخيوط حريرٍ
لم تنضج ،
كبخار حنين ،
كبقايا حبٍّ مسعور،
كأمانٍ مهجورة ،
يقبل بي
ركنٌ في المقهى

ذبـاب المقهـى

أين تذهب هذا الصباح ؟
للمقهى !!
كل الإرجيلات امصتك لحدِّ القيءْ رُ
ظهر الكرسي ـ دهنته ريحتك اللزجة ـ ي
يجترُّ الأنفاسَ في مجهودٍ خارق ط
حتى سحب الدخان بعيداً عنك تطير ت
لا يبقى غير ذباب المقهى يكنـس ر
و
ح
كْ

نشـــوة

ما بين يديك ملاكٌ في جسدٍ بضّ
شهقةْ ...
أخرى ...
الآن فقطْ
كومةُ ذنبٍ

رتابــة

السرير وفوضاهُ
مشروع نصٍّ رديءٍ بنصف المخدَّةْ
الكتاب المعار
بين هذا الركام أفضُّ اشتباكاً لجفنيَّ
من ليلة البارحة

كلمـاتي

كصبيٍّ يجمع أعقاب السيجارات
ليطلق متعته في ركنٍ مهجورٍ
أو فوق سطوح البيتْ
كلماتي تخرجُ ـ في ذعرٍ ـ تتلفَّت ..

نَـص

كوليدٍ يصرخُ بين يديكْ
تنسى آلام الطلْقِ
وتلقمهُ
حلمة رأسك

مراوغـة

ها أنت
كمن فُقِئَ لسانه
إذ سلخوه نصف حروفهْ..
كي تخرج منه الكلمات عرجاء
على عكازين..

فهرست

وحيـداً

ناعماً ينبتُ العشب ٥ ، شقراء قصيَّة كروحـي ٦ ، بكائيـات ١٢ ، فاصلـة ١٣ ،قصائد المخاض ١٤ ، الأصدقاء ١٩ ، أطـلال ٢٢، مرثيـة العصـافير ٢٧ ، فتـاة ٢٩ ، قصائد المتعبين ٣٠.

انكسرتُ

ريحانة ٣٩ ، نصـوص رديئة ٤٠ ، خيوط لعزلته ٤٤ ، تجريـد ٤٦ ، مواجهـة ٥٠، اعتراف ٥٣ ، ارتياب ٥٦ ، قبول ٦٠، ذباب المقهى ٦١، نشـوة ٦٢، رتـابة ٦٣ ،كلمـاتي ٦٤ ، نَـص ٦٥ ، مراوغة ٦٦.

صدرت الطبعة الأولى ١٩٩٦ عن دار الجديد بيروت لبنان